المجلد11 / العـدد:02 (2021)، ص 696-704

أنثروبولوجيا جزائرية بقلم فرنسي

Algerian Anthropology in it's French version

بن شعيبي محمد[1]

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

benchaibi_15@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/02/19 تاريخ القبول: 2021/10/24 تاريخ النشر: 2021/12/28

ملخص:

أشتهر سابقا ميدان الأنثروبولوجيا بدراسة ذلك الغريب و البعيد،الأمر الذي دفع بالمستعمر الفرنسي إلى دراسة المجتمع الجزائري الذي كان يبدو كذلك،و هذا لخدمة أغراضه ونواياه.وفي نفس الفترة ،وجدت أنثروبولوجيا أكاديمية،كتلك التي استهوت الباحثة جارمان تيون،مخصصة معظم أعمالها لإثراء هذا النوع من العلوم،إلى جانب مساندتها السياسية للقضية الجزائرية من أجل رفع الهيمنة و العنف عن الجزائريين .من خلال إتباعنا للمنهج الوصفي،نهدف من وراء تقديم هذا العمل إلى تعريف القارئ بشخصية غربية اهتمت كثيرا بتكريس جل أعمالها الإثنولوجية عن الجزائر في تلك الفترة التي كانت شاهدة عليها حيث كانت امرأة ميدان بامتياز ،إذ في كل مرة كانت جاهزة للملاحظة ، و تدوين الأحداث وفق تسلسلها الزمني،و كاستنتاج لهذه الورقات البحثية يمكننا القول بأن أعمال جارمان تيون الميدانية صارت تشكل مصدرا هاما لفهم التاريخ الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

كلمات مفتاحية: الغريب،الأنثروبولوجيا الأكاديمية،القضية الجزائرية،العمل الميداني.

Abstract :

The anthropological field was characterised previously by studying what seems to be strange and traditional. This is why the French colonialism studied the Algerian society in its strange and traditional dimention , aiming at serving its objectives . At the same period. There was another kind of anthropology, the academic one that inspired Germaine Tillion who devoted her works to enrich this kind of disciplines. She was supporting politicaly the Algerian issue in order to stop violence towards Algerian people, through using the descriptive method . The purpose is to present an occidental person who was concerned and devoted most of her work about Algeria, during that period as a witness in the field by excellence .The

[1] المؤلف المرسل: بن شعيبي محمد، الإيميل: benchaibi_15@yahoo.fr

scholar was ready every time to register the events and observations according to its chronological order, by which her field work became an important source to understand the social history of the Algerien society.

Key words: Strange-Academic anthropology-Algerian issue-Field work.

Résumé:

L'anthropologie a été connue auparavant par l'étude de ce qui est étrange et lointain, ce qui a mené le colonialisme français à étudier la société algérienne qui parait ainsi, au profit de la colonisation et à ses fins. Dans la même époque, une anthropologie académique surgisse, inspirant la chercheur Germaine Tillion qui consacrait la majorité de ses œuvres à l'enrichissement de la dite discipline. Par ailleurs, elle soutenait la cause algérienne afin d'arrêter la dominance et la violence son le peuple algérien. La présente étude vise alors à donner une biographie de cette personne-à titre descriptif et présentatif- qui s'est beaucoup intéressée à l'ethnologie algérienne dans la plupart de ces travaux comme témoignage et chercheur de terrain. Dans sa méthode de recherche elle était prête à observer et à noter les événements selon leur ordre chronologique, on en constate par conséquent que Germaine Tillion représente une référence importante à la compréhension de l'histoire sociale de la société algérienne

Mots clés : Etrange. Anthropologie Academique.la cause Algerienne.le travail de terrain.

- مقدمة :

في سنة 1999، تـ م تنظيم ملتقـى دولي من طرف مركز البحث في الأنثروبـولوجيا الاجتماعية و الثقافية – الكراسك- وجامعة قسنطينة بمساهمة بعض المؤسسات الوطنية، كان ذلك أيام 22،23،24 نوفمبر بمديـنة تيميـــمون، بالتنسيق مع البروفيسور نذيـــر معروف والراحل فوزي عادل و زوجه خديجة عادل. حيث شارك في هذا الملتقى الدولي ما يزيد عن أربعة وعشرون باحثا وقد تم وضع العنوان الآ تي لهذه التظاهرة العلمية : أي،مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟ انطلاقا من قراءتنا لهذا العنوان أو التساؤل نستشف طرحا يشبه كثيرا البحث في مسألة الهوية. من أنا ؟ من أكون؟ وماذا سأصير يوما ما ؟

هذه أيضا إشارة إلى مسألة الأصول الأولى لهذا التخصص في الجزائر، أي ماله علاقة بالمرحلة الكولونيالية والتي تلتها ، حتى ،عرف هذا التخصص باسم الدراسات الكولونيالية أو أنثروبولولجيا بلاد المستعمر أو الأنثروبولوجيا الكولونيالية. وبالتالي حتى بعد انتهاء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر بقي هذا التخصص يشار إليه ، إذ هو بمثابة الوصمة Stigmatisé وسنحاول في عجالة التطرق إلى بعض الإرهاصات الأولى لهذا العلم المسمى بالكولونيالي و الذي بفضله استطاعت بعض النخب الفر نسية التعرف على عقلية وهوية ونمط تفكير الإنسان الجزائري ، على العموم يمكننا القول معرفة البنية أو المرفولوجيا الإجتماعية لهذا المجتمع وتكسيرها مع مرور الزمن وتعويضها بأخرى أوروبية

تحمل مواصفات تناسب نوعا ما العقلية الفرنسية. لكن المجتمع الجزائري أو هذا البلد في حد ذاته كان يبدو "غيويا" أو غريبا على مستوى الفكر الفرنسي .

وهذا مجال آخر للحديث عن إحدى أنواع الدراسات الأنثروبولولجية التي كان مجالها الرئيسي التعرف على الغير - L'Anthropologie de l'autre- ككل الدراسات المقامة آنذاك قصد الكشف عن خصوصيات بعض المجتمعات للنائية والغريبة الطبائع والعادات والتي لا تعرف معنى الحضارة أو كما سماها البعض الآخر: بدون تاريخ ، بدون سلطة ، بدون كتابة أو حتى همجية.حيث استطاعت تلك النخبة المثقفة من الفرنسيين الإلمام بالعديد من المواضيع الاجتماعية كموضوع الممارسات الدينية،تقسيم الميراث ،الزواج الداخلي،المرأة و الشرف العائلي،الاحتفالات الموسمية وغيرها من المواضيع ،ومن ثم الفهم العميق لشخصية الجزائري قصد تسهيل الهيمنة عليه.بالإضافة إلى إنتاجهم للعديد من الكتب التي ضمت وصفا دقيقا لهذه المواضيع.

تأسيسا على ما سبق،صار بإمكاننا طرح الإشكالية التالية: : إلى أي مدى يمكن الاعتماد على الإرث الإثنولوجي الكولونيالي الذي يعتبر في حد ذاته معركة فكرية ؟ هل كل ما كتب قبل وبعد تلك الفترة هو خدمة للمجتمع الفرنسي ، أم هي مجرد كتابات معرفية تخدم العلم بالدرجة الأولى ؟

1 . بلاد الجزائر بين الأنثروبولوجيا العسكرية و الآكاديمية:

، لمعتبر المجتمع الجزائري واحدا من هذه المجتمعات التي كان الفرنسيون يطمحون الوصول إليها ، ليس قصد دراسته أو اكتشافه فقط ، ولكن لأهداف خفية أصبحت معلنة فيما بعد (الجزائر لم تكن موجودة إلا في خيال المحتل، وليست معروفة على وجه بلاد المغرب) (Philippe Lucas et jean- Claude vatin,2009,p11) كما صرحا بذلك فيليب لوكاو جون كلود فاتان في كتابهما المشترك والموسوم ب: "جزائر الأنثروبولوجيين" ، وبالتالي كان فيه اعتمادا كليا على تلك التقارير المكتوبة من طرف الضباط العسكريين والرحالة الفرنسيين والأطباء وحتى بعض النخب المثقفة. حيث منهم من كان عالم اجتماع وسياسي في نفس الوقت مثل : ألكسي دي طوكفيل المهتم بقضايا الديمقراطية ومساندته لفكرة احتلال المجتمع الجزائري المستمدة من فكرة حق الغزو أو شرعية الاحتلال الفكرة نفسها التي حملها الفكر أو المشروع السانسيموني و مريديه. والذي كانت فيه الجزائر بمثابة الرهان أو ميدان استكشاف أو بصريح العبارة الرئة التي كانت تتنفس بها فرنسا .

ما يجب الإشارة إليه أن تلك الأعمال من نصوص وتقارير العسكريين أو ما يعرف بالإثنولوجيا العسكرية، لم تعط الصورة الحقيقة عن المجتمع المدروس أو المهيمن عليه و بالتالي فالعديد مما كتب في تلك المرحلة من أعمال وحتى مؤلفات يجب التعامل معها وقراءتها بشيء من الفهم المعمق والتحليل والمراجعة ، لأن بعضها في وصف المجتمع الجزائري لا ينطبق أ ساسا مع ما هو موجود على أرض الحقيقة كتلك النصوص التي كتبها دي طوكفيل عن فلسفة الاحتلا ل أو الغزو أو أعمالا أخرى كتلك المنجزة من طرف هانوتو وليتورنو من خلال مؤلفهما الموسوم ب : " القبائل وعادات القبائليين ".

هذا ما يمكننا تسميته بالإرث الكولونيالي كرأسمال معرفي ،الذي حمل في طياته العديد من المفارقات ونظرة المستعمر الدونية إلى هذه الشعوب و "قابليتها للهيمنة" أوالاستعمار بمفهوم المفكر مالك بن نبي ، لكن في حقيقة الأمر ما هي إلا نزعة عرق أوروبي ، وسمة من سمات المستعمر.

إن ذلك المخزون أو الإرث الكولونيالي كان على شكل دراسات أقيمت على بعض مناطق المجتمع الجزائري دون سواها كمنطقة القبائل التي عرفت دراسات اثنوغرافية وأخرى إثنولوجية بامتياز إذ كانت بمثابة البراديغم، أيضا مجتمع الأوراس أو بلاد الشاوية، بلاد المزاب كذلك المجتمع الترقي .إذ بدت هذه المجتمعات مغايرة ومثيرة للبحث والـ تعرف عليها قصد تحقيق أهداف تخدم المستعمر إن تعلق الأمر بالأنثروبولوجيا الكولونيالية و من بين القضايا الجوهرية التي اهتموا بالبحث فيها مسألة الدين والمعتقد، المرأة و الشرف ، السلطة و العرف... لكن ذلك النوع من الأبحاث الإثنولوجية المسماة بالعسكرية انتهت في أواخر القرن التاسع عشر(1880) وأخذت مكانتها اللاإثنولوجيا الآكاد مية خاصة مع إميل ماسكوراي الذي تقلد عدة مناصب بأشهر المؤسسات الأكاديمية الجزائرية ، إذ كان يحسن العـ ربية أو معربا إلى حد كبير وملم بالثقافة الأمازيغية، كما كان على دراية بالإسلام. أكثر أعماله شهرة حول الجزائر أطرو حته الموسومة ب : " تكوين المدن عند الشعوب الحضرية الجزائرية ، قبائل جرجرة ، شاوية الأوراس ، بني مزاب 1886 " وبالتالي يمكن اعتباره مؤسس الإثنولوجيا العلمية والتي أنشأت لخدمة العلم والمعرفة ، وعليه،بعدها عن منطق الاستعمار والمستعمر.ثم فيما بعد،وجدت أبحاث أخرى من طرف غربيين وجزائريين لتثمين هذا التخصص .ومنهم من كان حتى فرنسي الميلاد والنشأة لكن مؤيدا للقضية الجزائرية ، على سبيل الذكر الراحل بيير شولي الملقب بصديق الثورة و زوجه كلودين شولي ،ليسات مادلين دوبار، أندري ماندوز، جون سيرفيي،جاكلين قروج،فرانس فانون أيضا أبناء وبنات هذ ا البلد مثل الراحلة فاني كولونا...وحين الحديث أيضا عن تاريخ الأنثروبولوجيا الجزائرية المعاصرة فلابد من ا لإشارة إلى بعض التواريخ الهامة أو السنوات ،خاصة سنتي 1971 و 1974 أين بقي هذا التخصص مهما من دون إثبات براءته إلى غاية المطالبة بحذفه من مسار الدراسات العليا، إذ نظروا إليه بأنه عديم الفائدة والمنفعة، أكثر من هذا فالأنثروبولوجيا هي تكريسا للهيمنة وتمجـ يدا للمستعمر وما خلفه من آثار مادية ومعنوية لكن بالرغم من تلك المواصفات التي حملها النوع الأول من الدراسات التي تنخرط ضمن طروحات المشروع الاستعماري إلا أن البعض منها يبقى مرجعا ذو أهمية في معرفة الحقيقة الكولونيالية وكيفية تعامل الفكر الغربي مع المجتمع الجزائري الذي كان لا يعرف أي معنى للحضارة وكان أقرب إلى التوحش والبربرية حسب اعتقاد هؤلاء الأصناف من الفرنسيين كالرحالة والمستكشفين والعسكريين وكذلك قادة الفكر.

بعد هذا العرض الموجز لأبرز المحطات التي مر بها تخصص الأنثروبولوجيا في الجزائر و من مرحلة معقدة إلى أخرى أعقد، إلا أن الوضع لم يعد كذلك خاصة في السنوات الأخيرة بفضل الوجود الحقيقي لها كتخصص آكاديمي قائم بذ اته كباقي العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،هذا ما جسدته مراكز البحث و الجامعات الجزائرية بصفة عامة.

2 . جارمان تيون و رحلة العلم والضال:

ولدت الباحثة جارمان تيون في 30ماي 1907 بفرنسا ،من أسرة مثقفة،ملمة بالعديد من التخصصات العلميـة، كما د رسـت بالمدرسة العليا للدراسـات التطبيـقية، امرأة البلدان الثلاث، فرنسا،ألمـانيا ، و الجزائر ، باحثة

مناضلة،حفيدة مناضلة وابنة مناضلة، عاشت مائة و واحد سنة ، هذا العمر كان شاهدا على العديد من التغيرات السياسية والتقنية والاجتماعية والثقافية خاصة تلك الأحداث التاريخية من صراعات وحروب . حين عودتها من المنفى النازي ،نعني بذلك سجون الممارسات اللاإنسانية. من تعذيب وتجويع وكذلك الإعدام ، باشرت أعمالها وأتت بالجديد للأنثروبولوجيا المعاصرة على الصعيدين النظري والتطبيقي ، مثلها مثل أشهر الباحثين الغربيين على سبيل المثال جورج بالانديه (الأنثربولوجيا الدينامية) و كليفورد غيرتز (الأنثروبولوجيا التأويلية)، إذ غيرت نوعا ما من وجهة نظر الأنثروبولوجيا التقليدية أو الكلاسيكية حيث على المستوى المنهجي اعتمدت على العديد من العلوم وتوظيفها في أبحاثها (كالتاريخ،الدين،التحليل النفسي،الأدب ،الفلكلور) (Badra Moutasem-Mimouni,2009,p11). كما اهتمت بالفضاءات المتوسطية بالخصوص الجزائر وبالأخص منطقة الأوراس ، القبائل وبدو الطوارق، أثمرت من ورائها أو من تلك المعايشة الميدانية عدة أعمال هامة سنورد ذكرها في آخر هذه الورقات على شكل عناوين .

و لقد تعرفت وتعاملت طيلة مشوارها العلمي والنضالي على أكثر من خمسين شخصية معظمهم قادة سياسيين وباحثين إذ يعود الفضل في أعمالها الأولى إلى الباحث السوسيولوجي و الإثنولوجي مارسل موس 1873 – 1950 الذي طلب من جارمان تيون الالتحاق بتريز ريفيار من أجل الإقامة بمجتمع الأوراس ودراسته ، حيث دامت هذه الإقامة العلمية من سنة 1934 إلى غاية 1940 على شكل أربعة مهمات أو بعثات علمية .

كما أن المجتمع الأوراسي أو بلاد الشاوية ، هذا البلد الذي نال القسط الكبير من اهتمام جارمان تيون إلى درجة الإعجاب و الولع ، لبساطة عيش أفراده من جهة وطيبتهم من جهة أخرى،(بلاد الأوراس كان عبارة عن إقليم وحسب تعداد سنة 1931 كان يعيش فيه 57623 ساكن ، حوالي 14000 عائلة المسماة بالأهالي وثلاثون عائلة فرنسية) .(Michel kelle,2013,p16)

و قد كانت تلك المنطقة إبان حرب التحرير منطقة حساسة أو من النقاط السوداء في الجزائر وبقيت شاهدة على تلك الأحداث حتى بعد الاستقلال إذ لا يمكن الحديث عن تاريخ الجزائر دون الإشارة إلى طاحونة المعركة التي دارت في بلاد الشاوية ، وعن الأصل اللغوي لمصطلح شاوية (فهو اصطلاح جزائري يدل على مهنة ، عرق ولهجة) (Germain Tillion,2000,p14)درست جارمان تيون كل ما يتعلق بهذا المجتمع ذو الثقافة المحلية ، حيث اهتمت بجمع القصص التي كانت تروى و الأساطير والحكايات الشعبية و كذا مراسيم الحفلات ... مستعملة في ذلك الصور الفوتوغرافية على شكل ألبومات مرقمة كشواهد على حقب تاريخية وإنسانية عاشتها أثناء ممارستها الاثنولوجية داخل الجزائر و ألمانيا ، كما يقول المثل الشعبي الصيني " صورة خير من ألف كلمة " هذه المقاربة L'approche photographique استعملها أيضا السوسيولوجي الراحل بيير بورديو 1930- 2002 في البعض من أعماله الأنثروبولوجية . ومن خلال قراءتنا للتراث السوسيولوجي نجد بعض نقاط التشابه بين الباحثة امرأة الميدان وبورديو ، فكما ذكرنا في مجيء الباحثة إلى الجزائر بتكليف من أستاذها مارسل موس وبعد سلسلة من الأبحاث الميدانية استطاعت أن تنتج أطروحتها حول: " التنظيم الاجتماعي للمجتمعات الآمازيغية (فكذلك نجد بيير بورديو قد أرسل إلى

الجزائر من أجل تأدية الخدمة الوطنية بالجزائر التي كانت في حالة حرب 1955 وقرر البقاء بهذا البلد بعد انتهائه من تلك المهام) (Fabien Sacriste ,2001,p17) ليصبح مع مرور الأيام من بين أفضل زملاء السوسيولوجي الراحل : عبد المالك صياد1943 -1998 ، الذي خصص السواد الأعظم من أعماله للبحث في موضوع لا يزال يمثل سوقا فكرية رائجة والمتمثلة في الهجرة بكافة مراحلها الثلاث. كان ثمرة تعاون بورديو وصياد العديد من الأعمال الهامة وعلى رأسها المؤلف الشهير الموسوم بالإقتلاع (le Déracinement) ، أيضا مؤلف البيت القبائلي((la Maison Kabyle ،اللذان ركزا فيه على عدة مواضيع ذات علاقة بالحياة اليومية و التي على رأسها موضوع الشرف l'honneur حيث أن (العلاقات اليومية تظهر كأنها نسق منظم من مشاعر الشرف).(Addi lahouari,2002,p80).موضوع الشرف شكل نفس ميدان اهتمام جارمان تيون في حديثها عن شرف المرأة الذي هو في الأصل شرف كل القبيلة،هذا ما أشارت إليه في الفصل الخامس من مؤلفها الشهير الموسوم بالحريم وأبناء العم.

كانت الباحثة مولعة بالبحث في هذا المجتمع الذي حلت به و هذه المرة أثبتت ذلك بدراسة قيمة حول الجزائر والتي صارت فيما بعد عبارة عن مؤلف يحمل العنوان الآتي : " الجزائر سنة 1957 " ثم أعيد طبعه بعد إضافة نصوص أخرى إليه سنة 1961 ، لكن بعنوان مغاير " الجزائر تتأرجح نحو المستقبل " والتي دوما كانت تصف فيه الحالة الجزائرية أو حالة الأزمة في تلك السنوات بين فئتين غير متوازنتين على كافة الأصعدة تقريبا بين الفئة الحاكمة - المعمرين – أو كما كان يسميهم الأجداد بالكولون و أخرى محكومة ومضطهدة. و هي حالة تشرد بمعنى الوصف السميك لتلك الظروف التي عاشها أفراد المجتمع الجزائري آنذاك. الحرمان من العمل خاصة الزراعي مع نزع الملكية ، تحويل المساجد إلى كنائس وتشويه سمعة الزوايا والقائمين عليها ، مما ساعد على تفشي الجهل مع محاولة القضاء على الهوية الوطنية وطمسها ،إفشال القوى السياسية مع رفض سياسة الحوار و التفاوض بالمعنى الصريح. أي كان للمعمر الكل ولم يكن لأصحاب البلد إلا الفتات القليل أو لا شيء على الإطلاق .

وفي كل مرة كانت جارمان تيون جاهزة للعمل والملاحظة ، العمل السياسي أو الشبه حكومي من أجل تحسين الأوضاع الاجتماعية من جهة، والملاحظة الميدانية لعيش العزلة والأزمة في القرى و الأرياف، دون أن ننسى ملاحظاتها المكثفة والتحقيقات التي قامت بها في السجون الجزائرية (رفقة لويس مارتان المقاوم المنفي. إذ قاما بتحقيق في الجزائر من 18 جوان إلى غاية 06 جويلية 1957 ، تفقدا 09 سجون ، 09 معتقلات عبور و 07 مراكز إقامة)(Kelle (Michel,2013,p40 .

و في سنة 1960 استأنفت عملها الفكري بالمركز الوطني للأبحاث العلمية (CNRS) ، وكذا لقاءاتها الإثنولوجية بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHE) ثم عادت مرة ثانية إلى أبحاثها الميدانية بشكل موسع في بلدان المغرب و إفريقيا السوداء والشرق الأوسط. والتي أثمرت أعمالا إثنولوجية و أخرى أنثروبولوجية جد هامة .

و على ذكر هذين التخصصين ، نعود إلى مسألة أخرى فيها شيء من الحساسية وهي العلاقة بين الأنثروبولوجيا وبعض العلوم المشابهة والقريبة منها والفرق بينهما خاصة الإثنوغرافيا و الاثنولوجيا ،ما يهمنا أكثر تلك الدراسات الفرنسية المقامة حول الجزائر ،إذ أن فيما هو إثنوغرافي نكتفي بالوصف فقط أما فيما هو إثنولوجي فالأمر أوسع نوعا ما .إذ نستطيع القيام بالمقارنة مثلا بين ثقافتين أو قريتين أو مجتمعين ... أما الأنثروبولوجيا فهي دراسات

معمقة أو أكثر عمقا من النوع الأول والثاني ، كما أن على المشتغل في هذا الميدان أن لا يكتفي بالوصف البسيط والمقارنة بل يحاول التحليل والفهم المعمق للأحداث دون زيادة أو نقصان أو تعجب أو انبهار أو سخرية أو تعاطف وتأثر... إذ هي ذات علاقة بتاريخ الإنسان ككل ، ولاسيما هناك فروقات أخرى في التسمية بين الأنثروبولوجيا ،و الاثنولوجيا على مستوى المدرستين الفرنكوفونية و الأنجلوساكسونية. لا نريد الغوص فيها ، لأن البعض الآخر يرى من غير المعقول الحديث عن الفرق في التسمية بين التخصصين .

ومن بين أعمال امرأة الميدان نجد ما هو أقرب إلى الأنثروبولوجيا ، ومنها ما هو أقرب إلى الإثنوغرافيا ، هذا ما نستشفه جليا من خلال اطلاعنا على هذين المؤلفين ،فمؤلف : الحريم وأبناء العم ، يصب في ميدان الأنثروبولجيا ، كما يدل على ذلك العنوان في حد ذاته وعلى ذكر الأعمال الهامة للباحثة ، نشير إلى مؤلف آخر و الموسوم ب : Ravensbrück والذي هو في الأصل إحدى سجون ألمانيا النازية آنذاك وفي هذا المكان بالذات فقدت أمها، التي مورس عليها وعلى جميع نزيلات ذلك السجن أشد أنواع التعذيب حيث ماتت أمها بعدما ثم وضعها في غرفة الغاز ،مما جعل جارمان تيون تتأثر بهذه الحادثة وضلت راسخة في ذاكرتها طيلة حياتها إذ تروي في هذا العمل الاثنولوجي والتاريخي الفترة التي قضتها داخل المعسكر النازي وفيه روت معاناة الموت الناجم عن الجوع ، العمل الشاق، التحرش، العقوبات التي نفذت في حق هؤلاء النسوة ، كذلك كيفية تسرب المعلومات خارج السجن عن طريق الرسائل . لدى يقال عنها أنها مقاومة وباحثة في ميدان الإثنولوجيا ،حتى الجزائريين كان لهم دخلا في هذه الحرب والكل يعرف وقوف الجزائريين إلى جانب الصفوف الفرنسية من أجل محاربة الألمان شريطة منحهم الحرية وحق تقرير المصير في حالة الضر على الحلف النازي . لكن في بعض الأحيان التاريخ يسخر من ضحاياه ومن أبطاله كما يقال.

في سنة 1957 ، التقت جارمان تيون بصديقتها المناضلة الجزائرية فاطمة حمديكن قصد بحث و إيضاح مسألة تتعلق ب : الجزائر في 1957 ولم تكن على دراية بأنها ستلتقي آنذاك برئيس حزب جبهة التحرير الوطني بالعاصمة ، ياسف سعدي .

في تلك الفترة بالذات ،كان العمل الثوري قد اتخذ منحناه التصاعدي في ظروف جد صعبة ، الإعدام في حق بعض القادة ، المعاناة والجوع الناجمين عن حالة الأزمة ، المهم كل أعمال العنف الكولونيالي كانت محور الاهتمام بينهما وبين بعض القادة (وبقيت على اتصال مع ياسف حق بعد ذهابها إلى فرنسا والرجوع منها في السنة نفسها 1957 ... حيث طلب منها النظر في مسألة إعدام كل من الشهيدة جميلة بوحيرد و جميلة بوعزة)(Djemaa Djgholal,2007,p23) ليتم فيما بعد إلقاء القبض على كل من القائد ياسف سعدي والمناضلة زهرة ضريف بيطاط في 24 سبتمبر 1957. ولو نعيد قراءة التاريخ الجزائري لوجدنا العديد من الحقائق غير متفق عليها وبقيت نقاط سوداء في سجل التاريخ الجزائري ، خاصة في تلك الفترة كمسألة اعتقال الشهيد علي عمارة المعروف ب: علي لابوانت. ما نفهمه من الحديث الذي قيل وكتب أن معركة الجزائر لم يشارك فيها إلا الرجال من القادة المناضلين والمجاهدين الذين سمتهم فرنسا بالإرهابيين بل حتى جارمان تيون كان لها إسهاما قيما في ذلك رفقة جميلات الجزائر ،و أخريات

فرنسيات،"نسوة مقومات ومناضلات غير معروفات وأخريات أصبحن أسطوريات ك: Danielle Mitterrand ,Evelyne Lavalette

,Geneviere de gaulle...

كما بقيت محافظة على مسارها النضالي والفكري إلى غاية ما بعد الاستقلال ،وبقيت حاملة لتلك الهموم ومهووسة بالقضايا التحررية مثل رفيقتها الفيلسوف الفرنسية Simone de Beauvoir 1908 – 1986 والتي عاشت معها في نفس الفترة وعايشت تلك الأوضاع أيضا ، مما جعلهما يتقاسمان نفس نمط التفكير بالرغم من اختلاف التخصص لكن الهدف واحد بفضل التعاون الذي كان بينهما .وفي الختام ارتأينا أن ننوه بمسألة إنسانية أخرى تحسب لصالح البلد – الجزائر – وهي " ترأس جارمان تيون للجمعية الفرنسية الجزائرية (1986 – 1987) "(Badra Moutassim-mimouni-2009,p14) .لهذا الشأن،قامت بالمرأة الباحثة والمناضلة في آن واحد،وهذه دلالة أيضا على توفيقها بين مسارين مختلفين في ظرف حساس.جعل منها تبدع كثيرا في مجال الاثنولوجيا،التي عرفتها كما يلي" أولا ،إنها حوار مع الثقافة ،وثانيا هي طرح لتساؤلات حول الذات و الآخر".(Germain Tillion,1966,p14).

خاتمة:

بعد عمر طويل ومسار نضالي ومعرفي حافل و كبير رحلت امرأة الميدان بمقر سكناها الكائن بسانت ماندي(فرنسا) في يوم 19 أفريل 2008 ،حين كنا متوجهين إلى مدينة غرداية في إطار العطلة الربيعية للمدرسة الوطنية للدكتوراه في الأنثروبولوجيا . هذه الشخصية التي تحلت بقيم إنسانية سامية إلى جانب إلمامها للعديد من الثقافات إذا ما كانت ا لثقافة حوار مع الآخر.كما كانت ضد أعمال النازية وضد كل الأعمال اللاإنسانية،التي مارستها فرنسا ضد الجزائر ،حيث كانت بمثابة الوسيط بين الطرف الفرنسي من جهة والجزائري من جهة أخرى ما يمكن قوله أن فكرها كان في خدمة القضايا الإنسانية بعيدا عن ما عرف بأنثروبولوجيا الهيمنة أو أنثروبولوجيا بلاد المستعمر"السلاح للناعم".قوه في الأخير ونقول بأن الباحثة امرأة الميدان والمناضلة تعتبر من المكتشفات الأوائل لاثنولوجيا البلدان المتوسطية وهذا ما ظهر جليا من خلال تلك المؤلفات التي تركتها بعد وفاتها و ما علينا إلا الرجوع إليها لفهم

ثقافتنا المحلية كون أعمالها جمعت بين التاريخ وعلم الاجتماع و أيضا الأنثروبولوجيا.في ختام هذا المقال سنشير إلى أهم الأعمال،التي ألفتها جارمان تيون طيلة مسارها المزدوج وهي كالآتي:

- L'Algérie en 1957.
- (L'Afrique bascule vers l'avenir,(1959.
- (Ennemie complémentaire,(1960.
- (Le Harem et les cousins,(1964.
- (Ravensbrück, (1973.
- (La traversée du mal, entretien avec jean Lacouture,(1997.
- (Il était une fois l'éthnographie, (2000.

.(Deux terrorisme face a face ,(2000-

المراجع:

Philippe Lucas et Jean Claude Vatin,(2009) ,L'Algérie des Anthropologues , Alger ,Edition 1 - ..i,A,i,G

Michel Kelle , (2013) ,5 Figures De l'émancipation Algérienne, Des modèles pour un renouveau 2 - .des Rapports Franco –algériens ? France, Edition IME, Karthala , Publisud

.Germain Tillion , (2000), IL 'était une fois L'ethnographie, France, Edition du seuil3 -

Sacriste Fabien, (2001) ,Germain Tillion,Jacques berque,Jean servier et pierre Bourdieu, Des 4- .éthnologues dans la guerre d'indépendance Algérienne,Paris, l'Harmattan

.Germaine Tillion ,(1966) ,le harem et les cousins, Paris ,édition du seuil 5-

المجلات:

Badra Moutasem – Mimouni(2009), Germaine Tillion (1907 -2008) De L' ethnologie du 1 - .sauvage à l'anthropologie, in Insaniyat , n:44,45. P11

الجرائد:

.Djamaa Djgholal,(2007),Germaine Tillion et ses vies Algeriennes,Le Quotidien d'Oran1-